


اسم المادة: سورة الانشقاق

من سلسلة: تفسير جزء عم

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: سورة الانشقاق
من سلسلة: تفسير جزء عم
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم




إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢، أما بعد أحبتي في الله؛

خلق الله –عز وجل– الخلق ليبتليهم، وقال ربنا –سبحانه وتعالى–: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، خلقنا ربنا –سبحانه وتعالى– ليبلونا أينا أحسن عملا، ومن رحمته –سبحانه وتعالى– أنه لم يتركنا سدى، بل أنزل إلينا الكتب، وأرسل إلينا الرسل فمن تمسك بالوحي نجى، ومن أعرض عنه زلَّ وضل وابتعد عن الصراط المستقيم.

معنا اليوم سورة من الوحي، سورة من كتاب الله –عز وجل–، نتأمل فيها، نأخذ منها العِظات والعبر، نتخلق بأخلاقها، ونعيش معانيها علَّ الله –عز وجل– أن يرحمنا بها، وأن يرفعنا بها في الدارين؛ في الدنيا والآخرة.

يقول الله –عز وجل– في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت * وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت * وَإِذَا الأَرضُ مُدَّت * وَأَلقَت ما فيها وَتَخَلَّت * وَأَذِنَت لِرَبِّها وَحُقَّت * يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" الانشقاق١:٦.

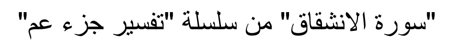
هذه السورة العظيمة التي قال عنها النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن سرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنه رَأْيَ عينٍ، فليقرأْ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفَطَرت، وإذا السماء انشقَّت"[١] هذا الجزء الثالث الذي يكمّل لنا النظرة الحقيقية للدار الآخرة كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–، هذه السورة التي تبين لنا معنى الكدح، وأن الانسان لابد أنه يعمل كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو" كل الناس بتشتغل، كل الناس بتتعب، كل الناس بتبذل "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها".[٢]

هذه السورة العظيمة التي بدأت بقول الله –عز وجل–: "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت * وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" هذه السماء العظيمة، هذه القُبة الزرقاء التي حفظها الله –عز وجل– من التغيير والتبديل، التي رفعها الله –عز وجل– بغير عمد طوال هذه الفترة من الدنيا، يأتي عليها يومٌ قطعًا وحتمًا وهذا ما تفيده أداة الشرط "إِذَا"، هذا سوف يأتي حتمًا، هذا سوف يأتي قطعًا، لابد أن تتغير هذه السماء، ما الذي سوف يحدث لها؟ "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت".

---

١ سنن الترمذي
٢ صحيح مسلم






تمر السماء بمراحل، في سورة الانفطار قال الله –عز وجل–: "إِذَا السَّماءُ انفَطَرَت" الانفطار:١، والانفطار: هو بداية التقطيع، هو بداية ظهور التغيير، أما في هذه السورة يخبرنا الله –عز وجل– أنها تنشق تمامًا.

والانشقاق هو: التقطيع ولكن مع شدة ومع عدم رجوع، لذلك الأمر لما يكون صعب عليك تقول الأمر فيه مشقة، شُقَّ عليا الأمر ف "إِذَا السَّماءُ انشَقَّت" أي: أن السماء تُقطَّع، وهذا التقطيع يكون فيه صعوبة ولن تعود مرة أخرى "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ" إبراهيم:٤٨، أي: أن السماوات سوف تتبدل، سوف تتغير، هذه السماء التي نراها سوف تتبدل، فيقول اللَّه –عز وجل– سوف يأتي يوم على السماء تنشق فيه السماء.

هذا الفعل الصعب الذي تقوم به السماء لماذا تفعل السماء هكذا؟ إنها تأذن لربها "وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" أي: أطاعت أمر الله –عز وجل–، لم تفعل السماء هكذا من تلقاء نفسها، ولكنها فعلت هكذا استجابة لأمر مولاها، استجابة لأمر ربها، حتى لو كان هذا الفعل شاقًا عليها لكنها تستجيب لأمر الله –عز وجل–، وهذا الذي ينبغي على الإنسان أن يفعله، مهما كان الفعل شاقًا عليه لابد أن يستجيب لأمر الله –عز وجل–.

"وَأَذِنَت" أي: استمعت سماع طاعة، "وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" أذنت لربها، أي: استمعت لأمر مولاها، استمعت باهتمام، استمعت بعناية لا كما يفعل المشركون في آخر هذه السورة، فما بالهم إذا قرأ عليهم القرآن لا يستمعون له! "وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ"، "فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ" الإنشقاق٢٠:٢٣، ولكن في أول هذه السورة تبين لنا التضاد بين ما تفعله المخلوقات من السماوات والأرض هذه المخلوقات العظيمة تستجيب لأمر ربها، وتستمع لأمر ربها، ولكنَّ المشركين يعرضون عن السماع لأمر الله –عز وجل–، فأذنت أي: استمعت بعناية، استمعت باهتمام تنتظر أمر ربها –سبحانه وتعالى–، كما قال الله –عز وجل– أو كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الله –عز وجل–: "ما أَذِنَ اللَّهُ لِشيءٍ" أي: ما استمع الله لشيء، هذا الشيء يستحق الاستماع والاهتمام "كما يَأْذَنُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرْآن"[٣]، "ما أذِنَ اللَّهُ لِشيءٍ" أي: ما استمع الله لشيء "كما يَأْذَنُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرْآن"، فأذن تأتي هنا في هذه السورة للمخلوقات أي: استمع بعناية وباهتمام تنتظر أمر ربها، كما أخبر النبي– صلى الله عليه وسلم– عن المَلَك الذي يمسك في الصور ويحني جبهته ينتظر أمر ربه –سبحانه وتعالى–، هكذا السماوات باتساعها تنتظر أمر الله –عز وجل–، تكون خاضعة لأمر الله –عز وجل– "قَالَتَا" أي: السماوات والأرض "أَتَيْنَا طَائِعِينَ" فصلت:١١.

"وَأَذِنَت لِرَبِّهَا" نعم تستمع لربها، وهل تستمع لعدوها؟ نعم تستمع لمولاها الذي خلقها، "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" الكهف:٥٠، إذا لم يستمع الإنسان إلى ربه قطعًا سوف يستمع إلى عدوه، سوف يستمع إلى الشيطان، لقد فُطر الإنسان على أنه لابد أن يستمع لأحد، الإنسان ينتظر وحيًا حتى يسير وراءه، إما أن ينتظر وحي الله –عز وجل– ويسير خلفه أو ينتظر وحي الشيطان ويسير خلف الشيطان، فقال اللَّه –عز وجل عن السماوات أنها أذنت لربها، استمعت لكلام مولاها الذي ربَّاها بنعمه، الذي خلقها، هي مربوبة لله –سبحانه وتعالى–.

"وَحُقَّت" يعني ايه حقت؟ "وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" أي: وقع عليها الأمر وحَقَّ عليها القول فاستجابت، ولا يكون لها إلا الاستجابة.

---

[٣] صحيح مسلم





"وَحُقَّت" أي: حُق لها أن تطيع أمر الله –عز وجل–، ليس لها مفر من هذا، فحُقت أي: وقع عليها القول، أنها مذللة، أنها مسخرة لن تستطيع أن تفر من أمر مولاها.

"وَحُقَّت" أي: أنها جديرة بطاعة الله –عز وجل–، كما قال موسى –عليه السلام–: "حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ" الأعراف:١٠٥، أي: أنا حقٌ علي ألا أقول على الله –عز وجل– إلا الحق، أنا رسول من عند الله –عز وجل–، كذلك السماء هي مخلوقة لله –عز وجل–.

"وَحُقَّت"، وقع عليها القول، كانت طائعة لأمر الله –عز وجل– هي جديرة بذلك، حُق لها ذلك، كما قال المشركون يوم القيامة: "فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ" الصافات:٣١.

إذًا في هذه الآيات التي تبين لنا أن المخلوقات العظيمة تطيع أمر الله –عز وجل–، هي مسخرة لأمر الله –عز وجل–، ولكنَّ الانسان منَّ الله –عز وجل– عليه وأعطاه الأمانة "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ" الأحزاب:٧٢، هذه الأمانة التي تعطي حرية الاختيار للإنسان "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" البلد:١٠، هذه الأمانة: هي التكليف الذي كُلِّف به الإنسان، لذلك قال الله –عز وجل– عن الإنسان في هذه السورة: "إِنَّكَ كَادِحٌ" أنت تبذل، أنت تتعب، أنت تختار الطريق الذي تريد أن تسير فيه وسوف تحاسب عليه، ولكنَّ السماوات والأرض أذنت لربها –سبحانه وتعالى–، حُقَ عليها ذلك، كانت مسخرة لأمر الله –عز وجل–، لم تحمل الأمانة، لم تحمل التكليف، لم تحمل الاختيار، هذه الأمانة حُمِّلها الإنسان ولابد أن يكون كفء لها؛ لذلك قال الله –عز وجل– في هذه السورة: "إِنَّكَ كَادِحٌ" وسوف يأتي معنا.

ثم قال الله –عز وجل–: "وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت"؛

– قيل "مُدَّت" أي: نُسف ما عليها من جبال وكانت "قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا" طه١٠٦:١٠٧.

– وقيل "مُدَّت" بعد أن كانت كروية، أصبحت ممدودة وتبدلت وتغيرت.

"وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت * وَأَلْقَت مَا فِيهَا وَتَخَلَّت" ما فيها من أموات، ما فيها من كنوز، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تَقِيءُ الأرْضُ أفْلاذَ كَبِدِها، أمْثالَ الأُسْطُوانِ –يوم القيامة– مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القاتِلُ –على الذهب والفضة– فَيَقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجِيءُ القاطِعُ فَيَقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي، ويَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقولُ: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئًا"[٤].

"وَأَلْقَت مَا فِيهَا وَتَخَلَّت" كلمة تخلت وكأن الأرض لا تريد أن يطلب منها أحد شيئًا في هذا اليوم، وكأن الأرض تريد أن تتخلى عن أي تبعة من التبعات، لا تريد أن تتحمل شيئًا، تريد أن تكون خالية من أي تبعة من التبعات؛ ولذلك يتمنى المشرك أن يكون مثل الأرض "يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا" النبأ:٤٠، يا ليتني ألقي ما عندي وأتخلى عن أي محاسبة، الأرض تلقي ما فيها، وتتكلف التخلية "وَأَلْقَت مَا فِيهَا وَتَخَلَّت" تخلت عن أن تُسأل من أي شيء، حتى لا يسألها ربها –سبحانه وتعالى– عن أي شيء، هي خاضعة لأمر مولاها –سبحانه وتعالى–، الأمر عظيم، ما هو الأمر الجلل الذي جعل هذه السماوات باتساعها تنشق استجابة لأمر الله –عز وجل–؟ ما هو الأمر الذي حدث جعل هذه الأرض تلقي بكل ما فيها، وتتخلى عن أي شيء حتى لا يسألها أي واحد بتبعته وحتى لا يسألها ربها عن أي شيء؟ فهي "وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" أي: أيضًا الأرض كما فعلت السماء، الأرض أطاعت ربها، استمعت لأمر ربها بعناية ثم بعد الاستماع نفذت أمر الله –عز وجل–، **هذا هو المطلوب من الإنسان أن يستمع إلى أمر الله –عز وجل– بعناية ثم ينفذ أمر الله –عز وجل–، ولكن الإنسان مخير في هذه الدنيا إما أن يختار هذه**

٤ صحيح مسلم






الطريق أو هذه الطريق "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" الإنسان:٣، الانسان هو الذي يختار الطريق الذي يسير فيه إلى الله –عز وجل–.

"وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت * وَأَلْقَت ما فيها وَتَخَلَّت * وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَّت" أي: أيضًا والأرض وقع عليها القول، حُقَّ لها أن تستجيب لأمر اللَّه، جديرة بالاستجابة لأمر اللَّه، هي مسخرة للاستجابة لأمر اللَّه، لا تعترض الأرض وتقول لطالما كنت كروية كيف اليوم أصبح ممدودة؟ لا تعترض السماء كيف أنشق بعد كل هذه المدة الطويلة من الاتساع؟ لا يعترضان ولكنهما يقولان "أَتَيْنَا طَائِعِينَ" أما الانسان، هذا المخلوق الذي يعصي نشازًا في هذا الكون.

يقول الله –عز وجل–: "يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" هذا الخطاب لكل البشرية، يذكِّر الإنسان "يا أَيُّهَا الإِنسانُ" منَّ الله –عز وجل– عليك بنعمة الإنسانية، نعمة الاختيار، نعمة العقل، نعمة التكليف، إنها الأمانة التي حُمِّلْتها، إنها أمانة التكليف، أمانة الاختيار "يا أَيُّهَا الإِنسانُ"، "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" الإسراء:٧٠، هذا هو التكريم، الإنسان يختار الطريق الذي يريد أن يسير فيه، ولكن هذا الاختيار له تبعة لابد أن يحاسب عليه.

"يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ" أنت تتعب في الدنيا، قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ" البلد:٤، كل الناس بتتعب، العاصي بيتعب، والمؤمن بيتعب، كل الناس يذوقون التعب، يذوقون الكَبَد، يذوقون الكدح.

الكدح "يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ" الكدح هي شيء أقل من الكدمة، الكدح: نوع من الخربشة كأن الانسان يحفر في شيء، يبحث عن شيء، يجاهد من أجل الوصول إلى شيء، كل الناس تشعر بداخلها أنها تبحث عن شيء، هذا يبحث عن المال، هذا يبحث عن السعادة، هذا يبحث عن الولد، هذا يبحث عن المنصب، كل الناس تبحث عن شيء، تحفر من أجل شيء، تجاهد من أجل شيء، يقول الله –عز وجل– أن الحقيقة أن كل الناس يصلون إلى اللَّه، يعلمون ذلك أو لا يعلمون، "إِنَّكَ كادِحٌ" الحقيقة التي أنت غافل عنها "إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ" أَفِق! آخر هذا الطريق الذي تتعب فيه والذي تحمل فيه الهم، انتبه! إن آخر هذا الطريق هو ملاقاة الملك –سبحانه وتعالى–.

"يا أَيُّهَا الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ" هذه المعلومة كل الناس يعلمها أنهم كادحون، أنهم في كبد، أنهم في نَصب، لكنَّ هذه نصف المعلومة، النصف الآخر "إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ" انتبه! آخر هذا الطريق الذي تسير فيه سوف تلاقي اللَّه– عز وجل–، سوف تلاقي ثمرة عملك، سوف تحاسب على تبِعة هذه الأعمال.

"إِنَّكَ كادِحٌ" أنت تتعب في هذه الدنيا، أنت تتعب باختيارك، أنت تختار الطريق الذي تريد أن تسير فيه "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ" لذلك يقول الله –عز وجل– في أول سورة البلد: "لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ" البلد١:٤، أقسم الله –عز وجل– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يلاقي جُلَّ أصناف العذاب والاضطهاد والاستضعاف في مكة.

"لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ" أي: استحلوا عرضك ومالك وجسدك وآذاك، "وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ" هذا نوع من التعب في نصرة دين اللَّه، "وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ" وهذا نوع آخر من التعب، مجرد يعيش لأجل الولد، يعيش لأجل المال.

ثم قال الله –عز وجل– بعد هذين النوعين من التعب: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ" هذا يتعب، وهذا يتعب، هذا يكدح، وهذا يكدح "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو" كل الناس بتشتغل، كل الناس تعبانة، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وأَصْدَقُ الأَسماء" أصدق الأسماء يعني الاسم المتطابق،





الفعل المتطابق مع الاسم، يعني ممكن واحد اسمه كريم لكن هو ليس بكريم فهذا ليس بأصدق الأسماء، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "وأَصْدَقُ الأسماءِ: هَمَّامٌ وحارِثٌ"[٥]

يعني لازم الإنسان يبقى شايل هم، ولازم يبقى بيعمل حاجة بيحرث، بيبحث عن شيء، والحرث: هو البذر لانتظار النتيجة، الحرث: هو البذر لانتظار النتيجة، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم- كل الناس بتتعب، كل الناس شايلة هم، كل الناس بتنتظر نتيجة التعب، حد يقولك أنا منتظر نتيجة التعب الفلوس، أنا منتظر نتيجة تعبي أشوف ده في أولادي، أنا منتظر نتيجة التعب في كذا، فيقول الله –عز وجل- أن الذكي الذي يفقه، هو الذي ينتظر نتيجة تعبه في الآخرة "إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" أيُّ كدح لا يبتغى به وجه الله –عز وجل- هو ضائع، يقول الله –عز وجل-: "إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ" لو أنت بتتعب أيها المسلم "إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ" طب برضه ما الكفار تعبانين زيك، لكن الفرق الوحيد بينك وبينهم "وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ" النساء:١٠٤، فحتى لا يضيع الألم من المسلمين لابد أن يرجو من الله –عز وجل- ما لا يرجوه المشركون، حتى لا يضيع ألمك، حتى لا يضيع كدحك، حتى لا يضيع نصبك ابتغي بهذا وجه الله –عز وجل-، اجعله لنصرة دين الله –عز وجل-.

"إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ" سوف تلاقي مولاك، سوف تلاقي ربك، سوف تلاقي عملك سوف تحاسب عليه.

"إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" أي: فملاقيه قطعًا، كل عمل أنت عملته سوف تُسأل عنه، كل عمل أنت تعبت فيه وشلت وحملت همه وتعبت فيه سوف تُسْأَل عن هذا الهم؛ فيم كان هذا الهم؟ فيم كان هذا التعب؟ هل كان لله –سبحانه وتعالى-؟ فيم كان هذا الألم؟ فيم كان هذا القرح؟ هل كان كل هذا لوجه الله –سبحانه وتعالى-؟ هل ابتغيت به وجه الله –سبحانه وتعالى-؟

"إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" ثم تظهر النتيجة؛ نتيجة الكدح، نتيجة التعب، نتيجة النصب، نتيجة الكَبَد، يقول الله –عز وجل-: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ" الانشقاق:٧، الأخذ باليمين فيه قوة، فيه شرف، فيه عزة، الإنسان يتقدم يأخذ الشيء بيمينه؛ لأنه يكون فرِحًا، يكون عنده عزيمة، يكون فيه فخر، يكون فخورًا بهذا.

"فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ" وكأنه يُهنَّئ أمام الناس على هذا الكدح، بعد وقت طويل من التعب، بعد أن غابت شمس الدنيا وانتهت الدنيا تأتي النتيجة، فيقوم المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فرِحًا بما تعب، تخيل كدا بعد سنة شغل وسنة تعب تيجي في الآخر التكريم فلان الفلاني لقد أحسن وفعل كذا وكذا ويهنئ ويشرَّف أمام الناس، فهكذا المؤمن ينادى على رؤوس الخلائق أنه لقد تعب في طاعة الله، في هذه اللحظة يحمد المؤمن كل لحظة بذلها لنصرة دين الله، في هذه اللحظة يتذكر المؤمن كل مرة أعرض فيها عن نومه وقام ليقوم الليل، في كل مرة ترك فيها المال وأنفقه لنصرة دين الله، في كل مرة تعب فيها لنصرة دين الله يحمد هذه اللحظات، يتذكَّر هذه اللحظات ويتمنى لو كان استزاد منها في هذه اللحظات.

"فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ" هذه اللحظات تكون أسعد اللحظات "فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" الانشقاق:٨؛ لأنه لابد أن يخطئ ولكن هذه الأخطاء التي جاءت في وسط كثير من الحسنات مجرد تكون العرض، هي أشبه بتذكير نعمة الله –عز وجل- على الانسان، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ اللَّهَ –عز وجل- يوم القيامة- يُدْنِي المُؤْمِنَ –منه- فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ" شوف الرحمة، الكنف ده الطائر لما يجيب الطفل بتاعه وابنه يكون خايف يضع عليه كنفه، "إنَّ اللَّهَ –عز وجل- يُدْنِي المُؤْمِنَ –منه- فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ" –ثم يذكره بذنوبه-يقوله أنت عملت كذا؟ أتذكر يوم كذا فعلت كذا "فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ –المؤمن-: نَعَمْ أيْ رَبِّ" أي ربي أعرف، أنا

[٥] صحيح أبي داود





عملت، فيقول الله –عز وجل–: "سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ"[٦] هذا هو العرض السريع الذي يمر به المؤمن قبل أن يدخل الجنة.

"فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ" اللي في كل حاجة هيتقاله ليه، ومنين، وازاي؟ أكيد هيُعذَّب، المؤمن يعرض عليه الأعمال، تعرض عليه الأعمال عرضًا فقط، لذلك أمنا عائشة لما سمعت هذا فقالت: يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "أليسَ يقولُ اللَّهُ –تعالَى–: "فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" قالَ: ذَلِكِ العَرْضُ"[٧]، هو مجرد عرض سريع يتذكَّر فيه نعم الله –عز وجل– عليه في الدنيا وفي الآخرة قبل أن يدخل الجنة؛ حتى يحمد الله –عز وجل– إذا دخل الجنة.

"فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا" الانشقاق:٨، ٩، إنه كان في أهله مشفق، كان خايف، كان وسط أهله دائمًا يذكرهم بالدار الآخرة، كان يقول لأهله اتقوا الحرام، لا تأكلوا الحرام، كان يصبِّر أهله على ما يبذلونه لنصرة دين الله –عز وجل–، كان يصبِّر الأهل والأولاد، كان يوقظ الأهل والأولاد لقيام الليل، كان يوقظ الأهل والأولاد لصلاة الفجر، كان يعني يبذل مع أهله ومع أولاده جهدًا، كانوا خائفين من الله –عز وجل– اليوم "وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا" يعود إلى أهله ويقول: ألم أقل لكم سوف يأتي ونفرح فيه سويًا؟ ألم أقل لكم سوف يأتي يوم نلاقي فيه جزاء هذا التعب وجزاء هذا النصب؟ ألم أخبركم! ألم أقل لكم! ينقلب إلى أهله سعيدًا كمن يعود من الامتحان ناجحًا، وكمن يعود من التجارة رابحًا، يعود إلى أهله ويطمئنهم "وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا".

"وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ" الانشقاق:١٠، هنا المرة في القرآن لم يقل الله –عز وجل– بشماله، ولكن قال: "وَرَاءَ ظَهْرِهِ"، هو أيضًا يأخذ الكتاب بشماله، قال بعض أهل التفسير: "تُغَلُّ يمينه إلى عنقه، وشماله تُوضع خلف ظهره فيأخذ الكتاب من وراء ظهره"، ليه بيأخد الكتاب من وراء ظهره؟

قال بعض أهل العلم: "لأن الله –عز وجل– لا يريد أن يراه، الذي يعطيه الكتاب لا يريد أن يراه".

وقيل: "لأنه لا يستطيع أن يلاقي ربه حياءً وخجلًا، فيلتفت ولا يستطيع أن يرى الله –عز وجل–".

وقيل: "لأنه كان دائمًا يفعل الأعمال من وراء الناس، كان يفعل الأعمال السيئة من وراء الناس، هو اعتاد على ذلك أن يكون كل شيء من وراء الظهور، أن يكون دائمًا مستخفيًا، فيأخذ الكتاب من وراء ظهره" أيضًا الأخذ من وراء الظهر: فيه ذِلة، فيه مهانة، والأخذ بالشمال كذلك فيه ذِلة، وفيه إهانة.

"وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ" ماذا يفعل؟ هذا المؤمن قام ينادي في كل الناس، قام فرحًا ينادي على الناس "اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ" الحاقة١٩:٢٠، ينطلق فرحًا بين الناس، ده اللي بيجيب جون في مصر بيطلع يجري قدام الناس كلها ولا يريد أن يوقفه أحد، تخيل هذا الذي يأخذ كتابه بيمينه ماذا سيفعل؟ يريد أن يجري في الجنة كلها فرحًا، يريد أن ينظر كل الناس إلى ما فعله من قيام، وصدقة لطالما أخفاها خشوعا لله –عز وجل– وابتعادًا عن الرياء، الآن يريد أن يُعلم كل الناس لطالما تعب لنصرة دين الله –عز وجل–، ولكن ذلك الكافر –والعياذ بالله–، والمنافق والفاجر ينادي بأعلى صوته، ولكن ينادي على الهلاك "فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا" الانشقاق:١١، أي: يقول يا هلاكي، يا ويلتي "يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ" الزمر:٥٦، لن تنفعه المناداة، لن تنفعه هذه الحسرة "فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا".

---

[٦] صحيح البخاري

[٧] صحيح البخاري




ثم بعد ذلك "وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا" الانشقاق:١٢، أي: يقاسي حر جهنم، يصلى أي: يقاسي ويتعب ويدخل في داخل النار، "وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا" لقد سار على طريق الشهوات فوقع في جهنم، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ" لقد اختار طريق الشهوات، وطريق الشهوات نهايته جهنم هذا أمر معروف "إِنَّكَ كادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدحًا فَمُلاقيهِ" لقد اخترت طريق الشهوات ونهايته هي جهنم، قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: "حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ"[8] فمن أعرض عن هوى نفسه "وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ" النازعات:٤٠، حتمًا سيصل إلى الجنة "حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ".

"فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا" الانشقاق١١:١٣، عمره ما فكر يقوم يصلي، عمره ما فكر ينفق في سبيل اللَّه، عمره ما فكر يبقى قاعد خايف، نايم خايف لو مات ماذا سيفعل الله –عز وجل– به؟ لم يكن أبدًا يخاف من الله –عز وجل–، لم يذكِّر أهله مرة بصلاة ولا بصيام ولا بنفقة لم يفعل ذلك، كان في أهله غير مبالي بأي شيء "إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا".

وقيل معنى "إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا" هي نفس نهاية السورة التي قبلها؛ سورة المطففين "وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ" المطففين:٣١، أي: "إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا"؛ لأنه كان يسخر من المؤمنين، كان يستهزئ من أهل الإيمان ثم يعود إلى بيته مسرورًا بما فعل بأهل الإيمان، أي: أنه كان في أهله مسرورًا بسبب إيذائه لأهل الإيمان، وهذه الآية توضح أن المشركين والمجرمين يكدحون ويتعبون ويتألمون لنصرة باطلهم، فهل يفعل ذلك المؤمنون؟

"إِنَّكَ كادِحٌ" أي: أن المؤمن يتعب، والكافر يتعب، المؤمن يتألم، والكافر يتألم لنصرة باطله، ويفرح بانتشار باطله، "إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا" كان فرحًا بإيذاء المؤمنين، كان فرحًا بانتشار باطنه، كان فرحًا بانتشار الشهوات، يحب ذلك "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا" النور:١٩، هو يحب أن ينتشر باطله ويفرح بذلك، ويسر بذلك.

"إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا" كل دا بسبب "إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ" الانشقاق:١٤ أي: لن يرجع إلى اللَّه –عز وجل–، لم يفكر أنه سوف يحاسب، لم يفكر أنه سوف يبعث ويُسأل عن كل ذلك، "يَحُورَ" أي: يعود، وقيل: "يَحُورَ" الحَوْر بمعنى التغير، أي: ظن أن الأمر سيستقر كما هو، كما قال صاحب الجنتين: "مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا" الكهف:٣٥، المترفون في الدنيا يظنون أن تظل الأوضاع كما هي، بل يظنون حتى لو جاء البعث أنه سوف يلاقي المال والبنين في الآخرة كما كان عنده في الدنيا.

"إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ" أي: ظن أن الأوضاع لن تتبدل، طالما هو زعيم أو شريف في الدنيا هكذا ستكون القيامة، طالما أنه غني مستكبر هكذا ستكون الأوضاع يوم القيامة هذا ظن خاطئ، يقول الله –عز وجل–: "خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ" الواقعة:٣، يوم القيامة تتبدل الأحوال، تتبدل السماوات والأرض فما بالكم بالناس! تتبدل الأحوال، تتغير الأحوال، الذي كان عزيزًا شريفًا مستكبرًا في الدنيا يأتي يوم القيامة كأمثال الذر يطؤه الناس بأقدامهم، والذي كان لا يؤبه له أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له يأتي ملكًا يوم القيامة ويشرّف ويرفع يوم القيامة، "إنَّ اللَّهَ –عز وجل– يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ"[9]، كذلك يُرفع أناس يوم القيامة بسبب ارتباطهم بكتاب الله –عز وجل–، ويُخفض أناس يوم القيامة بسبب بعدهم عن كتاب الله –عز وجل–؛ "وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ" الذين لا يخضعون لكلام الله –عز وجل– سوف يحاسبون حسابًا عسيرًا، سوف يندمون على كل لحظة ابتعدوا فيها عن كتاب الله –عز وجل–.

[8] صحيح مسلم
[9] صحيح مسلم





"فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ" ثم يقول الله -عز وجل-: "فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" الانشقاق١٦:١٩، هذا ما سنعرفه بعد جلسة الاستراحة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد -صلى الله عليه وسلم-، هذه السورة العظيمة أحبتي في الله؛ سورة الانشقاق، الجزء الثالث الذي يعطيك النظرة التامة عن الدار الآخرة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن سرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنه رَأْيَ عينٍ فليقرأْ إذا الشمس كوِّرت، وإذا السماء انفطَرت، وإذا السماء انشقَّت" هذه السورة تتميز بمميزات عن غيرها، هذه السورة جاءت فيها ألفاظ لم تأتي في غيرها، قال الله -عز وجل- فيها: "وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ" هذه السورة تخبرك أن المخلوقات خاضعة لأمر الله -عز وجل-، جاء فيها "يا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ" في حين في السورتين التي قبلها التكوير والانفطار "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ" الانفطار:٥، و "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ" التكوير:١٤، كان مجرد العلم بالأعمال، هذه السورة تتكلم عن ليس مجرد العلم ولكن لقاء هذه الأعمال التي تعبت أنت فيها "إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ"، هذه السورة وهي تتكلم عن نتيجة أخذ الكتاب، هذه السورة وهي تتكلم عن أن الأوضاع لابد أن تتغير، الأوضاع لابد أن تتغير "إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ" الأوضاع لن تستمر كما هي، لن يظل المستضعفون مستضعفين، ولن يظل المستكبرون مستكبرين، حتى لو ماتوا في هذه الحالة سوف يأتي يوم تنقلب فيه الأوضاع، سوف يأتي يوم "خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ"، تتبدل فيه الأحوال، تتغير فيه الأمور.

يقول الله -عز وجل-: "فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" يقسم الله -عز وجل- بلحظات الغروب، هذا الجو الذي تختلط فيه الحمرة بالبياض بالظلام، هذا الوقت الذي انُتزِع له اسمًا من مشاعرٍ تحدث للإنسان حينما يراه؛ إنه الشفق، إنها مشاعر الخوف، ما الذي سيحدث في هذا الليل؟ ما هي نتيجة هذا اليوم؟ ما هي نتيجة التعب الذي بذلته في هذا اليوم؟ إنها لحظات الشفق، هذه الحمرة التي تختلط بالظلام التي تنبئ عن تغيّر الأحوال، التي تنبئ عن ذهاب النور وإتيان الظلام، أنه لابد أن يتغير الوضع، كنت في النهار أبصر ماذا أفعل، ماذا سيحدث في الليل؟ بدايات الشفق هذا الوضع أقسم به الله -عز وجل- "فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ"، وبعد الشفق تأتي مرحلة أخرى؛ هي مرحلة الليل المظلم "وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ".

"فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ"؛ "وَسَقَ" قال العلماء: أي: جمع وضمَّ، أي: ما ضمه الليل من أحوال، ومن أوضاع، ومن هموم، ومن مشاعر، الليل يضم بجنبه وتحته أوضاع كثيرة جدًا، الليل هو مكان الخوف، الليل هو مكان العبادة، الليل هو الوضع الذي يقوم فيه المؤمن في قيام الليل، الليل هو الذي تجتلب فيه الهموم على الإنسان، فلذلك أقسم الله -عز وجل- بما يضم هذا الليل من أشياء وهموم ومشاعر ونجوم وكواكب "وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ".

ثم يقول الله -عز وجل- أن هذا الليل اللي هو ليل ومظلم لن يكون دائمًا مظلم، بل تأتي أوقات ويكون فيه البدر مكتملًا؛ "وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ" أي: والقمر إذا أصبح بدرًا ينير هذا الليل، مش حتى بالشمس، فيخبرنا الله -عز وجل- أن الأمور تتغير هذه سنة، وأن هذا التغيير يكون فيه نوع من التدريج؛ الشفق ثم الليل ثم الليلة المقمرة اللي هي البدر، يخبرنا -عز وجل-، احنا لسه معرفناش ايه جواب القسم، وايه المقصود بالقسم، احنا عايزين نفهم بماذا أقسم الله -عز وجل-؟

أقسم الله -عز وجل- بلحظات الشفق؛ لحظات الغروب، ثم الليل المظلم، ثم ليلة مقمرة أن الله قادر أن يجعل في هذا الليل ما يضيء فيه بالرغم من كل هذه الظلمات، أن اللهَ -عز وجل- قادر على أن يجعل مخلوقًا ينير في وسط هذا الظلام "وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ".







ثم يقسم الله –عز وجل–، ثم يكون جواب القسم: "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" يعني ايه الآية دي؟ "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ"

فيه قراءة القراءة بتاعتنا؛ قراءة حفص "لَتَرْكَبُنَّ" والباء مضمومة دا جمع، يعني "لَتَرْكَبُنَّ" أيها المشركون "طَبَقًا عَن طَبَقٍ" أي: لتنتقلن من حال إلى حال، أي: أيها المشركون –معنى الآية–، أيها المشركون انظروا إلى سنة الله في الخلق؛ يكون هناك نهار ثم يأتي ليل ثم يضيء الله –عز وجل– هذا الليل بالقمر ثم يأتي النهار، أيها المشركون لا تظنوا أن الأوضاع ستظل كما هي، سوف يأتي يوم ينتصر فيه المسلمون الذين طالما استهزأتم بهم وذهبتم إلى أهليكم مسرورين باستهزائكم بهم، سوف يأتي يوم وينتصر عليكم المسلمون، أيها المشركون سوف تتبدل الأحوال، سوف تنتقلون إلى دار أخرى تعذبون فيها.

"لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" أي: لتنتقلن من حال إلى حال، لتنتقلن من الدنيا إلى القبور تضيَّق عليكم الأرض، ثم لتنتقلن إلى يوم القيامة، ثم لتنتقلن إلى النار، لتنتقلن من حال إلى حال؛ كل حال أشد من التي قبلها، أقسم الله –عز وجل– بسنته في الكون أن هذا سيحدث للمشركين سوف تتبدل عليهم الأحوال، لطالما قامت دول، لطالما قام جبارون في الأرض قالوا: "أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" البقرة:٢٥٨، قالوا: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ" النازعات:٢٤، قالوا وقالوا أين هم الآن؟ "هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا" مريم:٩٨، بل ماتوا وأذلهم الله –عز وجل–، بل حتى من مات مستكبرًا في الدنيا ولم يذق الذِلة في الدنيا، ولم يذقه الله –عز وجل– الذلة في الدنيا سوف يأتي ذليلًا يوم القيامة، فأقسم اللَّه –عز وجل– بسنته في خلقه أنه لابد أن تتبدل الأحوال فليطمئن المؤمنون وليكونوا على يقين حتمًا ستتغير الأحوال، مفيش حاجة اسمها الدولة العظمى إلى ما لا نهاية، الكلام ده مش موجود في سنن ربنا كسنة، حتى لو سلَّط الله –عز وجل– عليها دولة مشركة أخرى لابد فيه تدافع، حتى بين الروم والفرس والاتنين كانوا مشركين كان بينهم تدافع قبل قيام الدولة الإسلامية، ده أمر فرضه الله –عز وجل– سنة في هذا الكون، وقيل أيضًا في هذه الآيات "فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ" سنة ربنا في التغيير.

"لترَكَبَّن" الخطاب هنا للنبي –صلى الله عليه وسلم– "لتركبن طَبَقًا عَن طَبَقٍ" أي: لتنتقلن من حال إلى حال، يُطمئن الله –عز وجل– نبيه، ستنتصر، ستنتقل من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى العالم، سينتشر هذا الدين "لتركبن طَبَقًا عَن طَبَقٍ".

وقيل: "لتركبن طَبَقًا عَن طَبَقٍ" ستصعد إلى السماء، ستصعد طبقًا عن طبق، تبشير بالمعراج، بشرى بالمعراج إذا ضاقت عليك الأمور أبشر بمعراج الله لك، إذا رأيت كدح أهل الباطل لهدم هذا الدين ووقفت تنصر هذا الدين أبشر بمعراج الله لك، أبشر أن الله –عز وجل– سيرفعك "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ".

وقيل أيضًا في معاني الآية: كما أنه يكون هناك ظلام ثم يأتي البدر؛ ما فعله الانسان من معاصي سوف يأتي يوم ويفضح فيه.

وقيل أيضًا من معاني هذه الآية: بدأ الليل بالشفق؛ شفق الخوف، لحظات الخوف، ثم "وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ" ما يفعله الإنسان من طاعات في الليل، ثم يأتي البدر النور للإنسان، كذلك الإنسان إذا خاف من الله –عز وجل– وعمل في الليل أعمال الطاعات وقام الليل أنار الله –عز وجل– له قلبه، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من خافَ أدلَجَ" اللي هيخاف هيمشي بالليل، هيسرع ويسير ليلًا "من خافَ أدلَجَ، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ"[١٠] اللي هيخاف، اللي هيبقى عنده شفق هيسير بالليل، هيقوم الليل ومن قام الليل أنار الله –عز وجل– قلبه، وفي الآية كثير وكثير من المعاني لا تنتهي، هذا هو كتاب ربنا، لا يخلَق على كثرة الرد، مهما عدت إليه وقرأته وتدبرته فتح الله –عز وجل– عليك منه.

"فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ" أيها المشركون "طَبَقًا عَن طَبَقٍ"، لتتغيرن الأحوال عليكم، لن تستقر الأحوال لكم.

[١٠] صحيح الترمذي

ثم يقول الله –عز وجل–: "فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" بعد كل ده "وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ" السماء تستمع لكلام ربها وتنفذ وأنتم لا تسمعون كلام الله! "فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ" الانشقاق٢٠:٢٢، دا مش بس مبيسمعش ده بيكذِّب.

"بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ" طب ايه السبب؟ ما الذي في صدره يجعله يبتعد عن القرآن؟ "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ" الانشقاق:٢٣.

"يُوعُونَ" يعني: صدره عبارة عن وعاء، صدره وعاء مليان بحسد وحقد وشهوات، وغل للمؤمنين، وحسد للمسلمين، "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ" الله –عز وجل– أعلم بما في صدورهم من مكر وتخطيط لهدم لهذا الدين، والله أعلم بما في صدورهم من شهوات.

"وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ" النتيجة؟ "فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" حتى لو أنت مستضعف بشرَّ المشركين بعذاب أليم، لابد أن توقن بالدار الآخرة، لابد أن توقن أن لله سنة هي سنة التغيير "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" لن تستمر الأحوال كما هي، ده أمر فطري مستقر، دي سنة من سنن الله –عز وجل–.

"فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" الانشقاق٢٤:٢٥، التعب اللي تعبوه مش هيروح عليهم "لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" أي: غير مقطوع، الكدح اللي تعبوه، والتعب اللي تعبوه في الدنيا، والكبد اللي ذاقوه، والألم اللي تألموه لن يضيع عليهم سيجزون به الفردوس بإذن الله –عز وجل– "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ".

نسأل الله –عز وجل– أن تكون أعمالنا خالصة لوجهه –سبحانه وتعالى–، وأن يكون نَصبنا وكَبدنا وألمنا وكدحنا وتعبنا خالصًا لوجه الله –عز وجل–، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى، اللهم إنا نسألك برحمتك الفردوس، اللهم إنا نسألك رفقة النبي –صلى الله عليه وسلم– في الجنة، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك، اللهم إنا نسألك حسابًا يسيرا، اللهم إنا نسألك حسابًا يسيرا، اللهم إنا نسألك الجنة بغير حساب ولا عذاب، اللهم إنَّا نسألك الجنة بغير حساب ولا عذاب، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأقم الصلاة.